عبد الحميد كشك

على مائدة الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (الذاريات ٥٥)

(صدق الله العظيم)

المكتبة المصرية الحديث
www.almaktabalmasry.com

عَلى مَائدة الإسْلام

جميع حقوق الطبع والنسخ والنشر محفوظة

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه
بأى طريقة كانت ميكانيكية أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل
أو البث عن طريق الشبكات الإلكترونية أو غيرها إلا بموافقة
الناشر على ذلك كتابة ومقدماً

المكتب المصرى الحديث
www.almaktabalmasry.com
info@almaktabalmasry.com

القـــاهرة: ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت: ٣٩٣٤١٢٧
الإسكندرية: ٧ شـــارع نوبـــار المنشـــية ت: ٤٨٤٦٦٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا كتاب سميته "على مائدة الإسلام" وما أجلها من مائدة اشتملت على ألوان الجمال والجلال والكمال وتلك سمة الإسلام فهو الجليل الجميل الكامل. وقد قيل لأعرابى: لما آمنت بمحمد؟ فقال : كلمة موجزة المبنى لكنها عظيمة المعنى وجيزة لكنها عزيزة.

قال الأعرابى آمنت بمحمد لأنه لم يأمر بشىء وقال العقل ليته ما أمر ولم ينه عن شىء وقال العقل ليته ما نهى.

نعم لقد قلت كلمة حق أصبحت مثلاً وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها. فجزاك الله أيها الأعرابى عنا خيرًا وبعد..

لما كانت الحاجة ملحة إلى تقديم وجبة كاملة العناصر الغذائية من وجبات الإسلام ونزولاً على رغبات كثير من المشتغلين بالدعوة إلى الله. لما كان ذلك كذلك فإننى أقدم هذا الكتاب مشتملاً على موضوعات شتى حتى يستفيد بها الدارسون والخطباء والمحاضرون وليس اختلاف الموضوعات مؤديًا إلى التشتيت بل إنه يزيد العقول المسلمة معرفة بنواح كثيرة وكأنه يختال فى روضة غناء كالبلبل الصداح من غصن إلى غصن ومن فنن إلى فنن وقد جاء هذا الكتاب على شكل مائدة حفت بها هالات النور وأكاليل الزهور وباقات العطور وتيجان السرور وكنوز الدر المنثور

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (الأنفال:٢٤)

والله ولى التوفيق.

أساله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه لا يشوبه رياءٌ ولا سمعة.

عبد الحميد كشك

لا تيأسوا من روح الله

هذه موضوعات يدور الحديث فيها عن يوم الجمعة لما له من أثر بعيد المدى فى دعائم الإسلام. نقول وبالله التوفيق.

المراد بروح الله رحمته ورحمة الله وسعت كل شيء فرضاه خير من الدنيا وما فيها فاللهم أغننا بالفقر إليك ولا تفقرنا بالاستغناء عنك.

المؤمن الحق هو الذى لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون يقول تعالى فى حديثه القدسى الجليل: "عبدى أطعتنا فقربناك وعصيتنا فأمهلناك ولو عدت إلينا بعد ذلك قبلناك" والأمل فى الله نور يضيء قلوب المخلصين.

فـإذا رميـت مـن الـزمان بشدة وأصابك الأمر الأشق الأصعب
فاضـرع لـربك إنـه أدنـى لمن يدعـوه من حبل الوريد وأقرب

ودعاء العبد ربه أمل يملأ النفس طمأنينة وسكينة ورجاء (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر ٩-١٥).

وإذا العـنـاية لاحظـتك عيونها فإذا نـم فالمخـاوف كلهـن أمـان

ما أحسب إلا أغلب القلب من يرى الدعاء حيلة البؤساء ووسيلة المستضعفين فإن الدعاء عروة وثقى يتعلق بها العبد فيما هو بسبيله من أعمال أو فيما هو قادم عليه من أهوال فيكون مستأنسًا برعاية الله مطمئنًا

إلى معونته (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد ٢٨).

وليس يستغنى عن حماية الله ورعايته من يعيش تحت سمائه وإن غفل عن ذلك الغافلون.

وما أحسب – كذلك – من يظن الدعاء فى جانب الآخرة وحدها لا فى جانب الدنيا، فإن الدنيا نعمة موهوبة من الله وفى الدعاء بشأن من شئونها الحلال اعتراف بالنعمة تطلع إليها ونوع من الشكر يتقدم به العبد إلى ربه والله يحب كل أنواع الشكر ويزيد سائر الشاكرين من فضله كما تعهد فى قوله... (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) (إبراهيم ٧).

وقد تفضل الله تعالى على عباده فمنحهم ساعة يوم الجمعة لم يسأل العبد فيها ربه شيئًا إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حرامًا ونحن نواصل الحديث عن هذه الساعة كما نص عليها العلماء وما من شك فى أن كثرة الآراء تزيد العبد رجاءً وأملاً فليدع فى هذه الأوقات وهو موقن بالإجابة والله تعالى يستجيب دعاءه.

روى الطبرانى عن ميمونة بنت سعد أنها قالت "يا رسول الله افتنا عن الجمعة قال فيها ساعة لا يدعو العبد فيها ربه إلا استجاب له قلت أية ساعة هى يا رسول الله قال ذلك حين يقوم الإمام".

وقيل من بين إقامة الصلاة إلى تمام الصلاة لحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه عن عمرو بن عوف "قالوا أية ساعة يارسول الله قال : حين

تقوم الصلاة إلى الانصراف منها" (رواه البيهقى فى الشعب بلفظ ما بين أن ينزل الإمام من المنبر إلى أن تنقضى الصلاة).

وقيل هى الساعة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فيها الجمعة (رواه ابن عساكر عن إبن سيرين).

وقيل من صلاة العصر إلى غروب الشمس رواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفاً والترمذى عن أنس بن مالك مرفوعًا "التمسوا الساعة التى ترجى فى يوم الجمعة بعد العصر إلى غيبوبة الشمس".

ولا بن منده عن أبى سعيد مرفوعا "فالتمسوها بعد العصر أغفل ما يكون الناس".

وقيل فى صلاة العصر رواه عبد الرازق عن يحي بن أبى طلحة مرفوعًا مرسلاً.

وقيل بعد العصر إلى آخر وقت الاختيار حكاه الغزالى وقيل من حين تصفر الشمس إلى أن تغيب رواه عبد الرازق عن طاووس.

وقيل آخر ساعة بعد العصر أخرجه أبو داود والحاكم عن جابر مرفوعًا ولفظه "فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر".

وأخرج أصحاب السنن عن أبى هريرة قال: "قال رسول الله صلى الله عليه سلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه".

فقال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو هريرة لقيت

عبدالله بن سلام فحدثته فقال قد علمت أية ساعة هى آخر ساعة فى الجمعة فقلت : كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم يصلى وتلك الساعة لا يصلى فيها ... فقال ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسًا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة قلت بلى قال فهو ذاك.

وجاء فى الترغيب للأصفهانى من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعًا "الساعة التى يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة قبل غروب الشمس أغفل ما يكون عنها الناس".

وقيل إذا تدلى نصف الشمس للغروب أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب عن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم أية ساعة هى قال إذا تدلى نصف الشمس للغروب.

واعلم أيها المؤمن أن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فمن كان الله معه فمن عليه؟ ومن يهن الله فما له من مكرم ومن يؤمن بالله يهد قلبه وأفضل الدعاء ان تسأل الله العافية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وهو يعلمها كيف تدعو قولى "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى". ومن الدعاء المأثور "اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وشفاءً من كل داء".

وقد وقف ابن عباس فى عرفات يذكر الله قائلا "لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فقال أحد الواقفين بعرفات يا ابن عباس أراك تذكر الله واليوم يوم الدعاء فقال له ابن عباس

أو ما سمعت إلى قوله الله تعالى فى الحديث القدسى الجليل "من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين".

فإذا شغلت أيها المسلم بذكر الله وتلاوة القرآن عن الدعاء فإن الله عليم بما فى نفسك يعطيك ما تسأله ما دمت فى ذكر وفكر قال تعالى (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران ١٩١).

فاسألوا الله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

استبقوا الخيرات يا أمة الإسلام.

يقول الحق تبارك وتعالى فى محكم كتابه العزيز :

(قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ) (إبراهيم ٣١).

والشاعر العربى يقول :

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه فلن يضيع جميل أينما زرعا
إن الجميل وإن طال الزمان به فليس يحصده إلا الذى زرعا

قال صلوات ربى وسلامه عليه "اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله".

عجيب أمر هذا الكتاب العزيز إذا كان المقام مقام الآخرة وما يقرب إلى الجنة جاء الأسلوب القرآنى الرفيع فيه حث وأمر بالمسارعة والاستباق كأن القيامة ما بين طرفة عين وانتباهتها : استمع معى إلى قول البارى جل شأنه (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران ١٣٣).

وإلى قوله تعالى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعا) (البقرة ١٤٨).

وقوله جل شأنه (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) (الحديد ٢١)

وقوله تبارك اسمه (لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) (الصافات ٦١).

وقوله عز وجل (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (المطففين ٢٦) إشارة إلى ما سبق من الحديث عن الأبرار.

أما إذا كان المقام مقام الدنيا والسعى على الأرزاق نرى الأسلوب القرآنى قد نحا منحى يدعو إلى الطمأنينة والهدوء حتى لا يتمرغ المرء فى أوحال الدنيا وحمئها المسنون : ترى فى ذلك

قوله تعالى :

(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) (الجمعة: ١٠) بعدما قال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) (الجمعة: ٩).

حث شديد ودفع إلى الأمام بقوة لأن المقام مقام الآخرة.

أما عن الدنيا فانتشار رفيق مصداقًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن روح القدس نفث فى روعى انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله واجمعوا فى الطلب".

لا تعجلــن فليس الرزق بالعجل الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلــو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكــنه خلــق الإنســان مــن عجل

وفى مقام الدنيا يقول تبارك اسمه (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك:١٥).

نعم امشوا ولم يقل سارعوا أو سابقوا حتى لا يكون صراع واقتتال وشر مستطير.

صدقت ياربنا فالروح والرزق لا يملكهما إلا أنت : أنت القائل (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان:٣٤).

وصدق رسولك صلى الله عليه وسلم إذ يقول "التمسوا الرزق فى خبايا الأرض".

فاعلم يا ابن آدم أنه ما تدر على فكيك أن تمضغاه فلابد أن تمضغاه فامضغه بعزة فلو ركب ابن آدم الريح فرارا من رزقه لركب الرزق البرق حتى يقع فى فم ابن آدم.

آت الــرزق يــوم بــيوم فــاجمل طلــبا وابــغ للقــيامة زادا

إذا كان مولانا تبارك اسمه قد أمرنا بالسعى وبحزم عندما ينادى المنادى لصلاة الجمعة وإن نذر البيع مهما كانت الصفقة حتى لايقع البيع

باطلا وفيه غضب لله فإننا لانكون مبالغين إذا قلنا أن يوم الجمعة سوق من أسواق القرآن الرابحة والتجارة مع الله فى هذا اليوم لن تبور. اسمع معى إلى ما جاء على لسان سيد الخلق وحبيب الحق.

أخرج الطبرانى عن أبى أمامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أصبح يوم الجمعة صائمًا وعاد مريضًا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد أوجب".

وأخرج ابن عدى والبيهقى فى الشعب عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أصبح يوم الجمعة صائمًا وعاد مريضًا وأطعم مسكينًا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب أربعين سنة".

ومن إكرام الله تعالى لعباده المؤمنين يوم الجمعة أن الصدقة فيه يضاعف أجرها.

ومن حرمة هذا اليوم ومهابته أن فعل السيئة فيه تضاعف لأن خطره عند الله عظيم.

أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن كعب قال "الصدقة تضاعف يوم الجمعة".

وأخرج ابن أبى شيبة عن كعب قال "يوم الجمعة تضاعف فيه الحسنة والسيئة".

وأخرج الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة مرفوعًا "وتضاعف الحسنات يوم الجمعة".

وأخرج حميد بن زنجوية فى فضائل الأعمال من طريق الهيثم بن حميد قال : أخبرنى أبو سعيد قال : بلغنى أن الحسنة تضاعف يوم الجمعة والسيئة تضاعف يوم الجمعة.

وأخرج عن المسيب بن رافع قال "من عمل خيرًا فى يوم الجمعة ضعف بعشرة أضعافه فى سائر الأيام ومن عمل شرًا فمثل ذلك".

ومن أفضال الله على عباده يوم الجمعة أن ذكر الله قبل فجر هذا اليوم يجلب له المغفرة من الغفار العظيم (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد ٢٨).

أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من قال قبل صلاة الغداة يوم الجمعة ثلاث مرات استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر".

وليس الذكر كلمات جوفاء تتردد على الشفاه إنما الذكر الذى يريده الله ويقبله هو استحضار عظمة الله فى قلب العبد بحيث يكفه عن الوقوع فيما يغضب المولى عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم قلنا بلى يا رسول الله قال: ذكر الله".

ولابد أن يقترن الذكر بالتفكر فذكر بلا تفكر جفاء وتفكر بلا ذكر هباء وذكر وتفكر إخلاص ووفاء (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ) (آل عمران:١٩٠).

واعلم أن من خصائص ليلة الجمعة التى يتجلى الله فيها برحمته ومغفرته على عباده ما أخرجه البيهقى فى الشعب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من قال هذه الكلمات سبع مرات فى ليلة الجمعة فمات فى تلك الليلة دخل الجنة ومن قالها يوم الجمعة فمات فى ذلك اليوم دخل الجنة من قال اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وابن أمتك وفى قبضتك وناصيتى بيدك أمسيت على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوء بنعمتك وأبوء بذنبى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

ألست معى فى أن هذا اليوم الكريم وليلته سوق رابحة لكل من تاجر فيها مع الله (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) (فاطر:٢٩-٣٠).

كذلك من أفضال الله يوم الجمعة، أن الله تعالى يعطى كل مسلم فى هذا اليوم ثواب حجة وعمرة إذا نفذ ما جاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخرج البيهقى فى الشعب عن سهل بن سعد الساعدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن لكل فى كل جمعة حجة وعمرة فالحجة التبكير إلى الجمعة والعمرة انتظار العصر بعد الجمعة . فبادروا بالأعمال الصالحة من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خلال".

كتاب وزمان... ومكان

هذا الإسلام العظيم دائم وخالد من أجل ذلك فهو كلمة الله إلى العالمين وشريعته إلى جميع خلقه (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ)وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:١٢٥-١٢٧).

ولا يمكن لأحد مهما كانت سطوته وبلغ جبروته وقوته أن ينال من هذا الدين لأنه فى حفظ الله وإذا استحفظ الله شيئًا حفظه. لقد أقام له دعائم أشد ثباتا من الجبال الشم والرواسى الشامخات أولى هذه الدعائم كتاب قال منزله سبحانه وتعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:٩)

والذكر هنا يشمل الذكر المتلو ونعنى به القرآن الكريم وغير المتلو وهو السنة المطهرة. ومن دعائمه الزمانية يوم الجمعة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة:٩).

ومن دعائمه المكانية المسجد الحرام (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ) (آل عمران:٩٦).

ومن دعائمه الزمانية والمكانية معا جبل عرفات ويومه (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) (البقرة: ١٩٨) ولنا

فى هذا المقام كلمة عن الدعامة الزمانية للإسلام ونعنى بها يوم الجمعة نتحدث هنا عن فضل هذا اليوم فى الدنيا وامتداد فضله إلى الآخرة.

فمن أفضال هذا اليوم فى الدنيا وما تفضل الله به على خير أمه أخرجت للناس ما أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أنس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا راح منا سبعون رجلا إلى الجمعة كانوا كسبعين موسى الذين وفدوا إلى ربهم أو أفضل..".

ويعنى بسبعين موسى هؤلاء السبعين من الرجال الذين قال الله تعالى فى شأنهم (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا) (الأعراف: ١٥٥).

فتأمل معى يا أخا الإسلام هل نال هؤلاء السبعون الذاهبون إلى الجمعة هذا الشرف الرفيع وهل تبوأوا تلك المكانة العليا إلا لأنهم راحوا إلى الجمعة.

ثم أنتقل إلى هذا الفصل الآخر.

أخرج الطبرانى والبيهقى فى الشعب والأصبهانى فى الترغيب عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "من صام يوم الأربعاء والخميس والجمعة ثم تصدق يوم الجمعة بما قل من ماله أو أكثر غفر له كل عمله يصير كيوم ولدته أمه".

لا يقولن قائل أن صيام يوم الجمعة مكروه هنا لأن الكراهية مترتبة على إفراده بالصيام فإذا صمت يومًا قبله أو يومًا بعده معه فلا كراهة.

وأخرج البيهقى فى الشعب عن ابن عباس أنه كان يحب أن يصوم الأربعاء والخميس والجمعة ويخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمر بصومهن وأن يتصدق بما قل أو كثر فإن فيه الفضل الكثير.

وكان من هدى النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد يوم الجمعة أخذ بعضادتى الباب ثم قال "اللهم اجعلنى أوجه من توجه إليك وأقرب من تقرب إليك وأفضل من سألك ورغب إليك".

قال الإمام النووى فى كتابه الأذكار يستحب لنا نحن أن نقول من أوجه ومن أقرب ومن أفضل بزيادة من ما فضل هذا اليوم إذا وافق يوم عرفة أى التاسع من ذى الحجة؟

قال العلماء وقفة الجمعة تفضل غيرها من خمسة أوجه:

أحدهما : مواقفة وقفة النبى صلى الله عليه وسلم فإن وقفته كانت يوم الجمعة وإنما يختار له الأفضل.

الثانى : أن فيها ساعة إجابة.

الثالث : أن الأعمال تشرف بشرف الأزمنة كما تشرف بشرف الأمكنة ويوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع فوجب أن يكون العمل فيه أفضل .

الرابع : إن فى الحديث أفضل الأيام يوم عرفة إذا وافق يوم الجمعة وهو أفضل من سبعين حجة فى غير يوم الجمعة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

الخامس : إذا كان عرفة يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف فإن قيل قد جاء أن الله تعالى يغفر لجميع أهل الموقف مطلقًا فما وجه

تخصيص ذلك بيوم الجمعة؟ أجيب عن ذلك بأنه يحتمل أن الله يغفر لهم فى غير يوم الجمعة بأن يهب قومًا لقوم أما يوم الجمعة فيغفر لهم غفرانًا مباشرًا كرمًا وفضلاً من عنده (أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) (المدثر: ٥٦) ومن بركات هذا اليوم أن الله جل شأنه يقضى حاجات المحتاجين ويؤدى الدين عن المدينين إذا اتجه إليه العبد بهذه الكلمات وهذا التطوع.

أخرج الأصبهانى فى الترغيب عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما قال "من كانت له حاجة إلى الله فليصم الأربعاء والخميس فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة فتصدق بصدقة قلت أو كثرت فإذا صلى الجمعة قال "اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا الله الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم الذى ملأت عظمته السماوات والأرض الذى عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات ووجلت القلوب من خشيته أن تصلى على محمد وأن تعطينى حاجتى وهى كذا وكذا فإنه يستجاب له".

والحاجة هنا كل ما يحتاج الإنسان إلى قضائه من مرض وهم ودين وغير ذلك.

وأخرج ابن السنى فى عمل يوم وليلة عن عمرو بن قيس المزنى قال بلغنى أن من صام الأربعاء والجمعة ثم شهد الجمعة مع المسلمين ثم ثبت بتسليم الإمام وقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات ثم مد يده إلى الله عز وجل ثم قال "اللهم إنى أسألك باسمك العلى الأعلى الأعز الأكرم لا

إله إلا الله الأجل الأعظم العظيم الأعظم لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه عاجلا أو آجلا ولكنكم تعجلون".

واعلم أن من إكرام هذا اليوم أن أبواب جهنم لا تفتح فيه أخرج أبو نعيم عن ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة فإنها لا تفتح أبوابها ولا تسعر".

ومما هو جدير بالذكر ما ذكره الديلمى عن عائشة مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال "لايفقه الرجل كل الفقه حتى يترك مجلس قومه عشية الجمعة".

وكأنه صلى الله عليه وسلم ينظر من وراء الحجب ويستشف الغيوب ليرى الأمة وقد انشغلت بالملاهى والمسرحيات والمهاترات فى هذه الليلة الزهراء التى يسمع الرسول فيها الصلاة عليه بنفسه.

فيا أخا الإسلام اعرض عن هذه المجالس حتى تفقه وتفهم واقبل على ذكر الله بقلبك وادع الله كثيرا حتى ينزع الله كيد الشيطان من قلوبنا.

قال محمد بن المنكدر سمعت جابر بن عبدالله يقول عرض هذا الدعاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لو دعى به على شيء من المشرق إلى المغرب فى ساعة من يوم الجمعة لاستجيب لصاحبه "لا إله إلا أنت ياحنان يامنان يابديع السماوات والأرض ياذا الجلال والإكرام".

كان هذا فيضًا من فيض يوم الجمعة وجزءا من كل وسطرا من قمطر وقطرة من بحر فما شأن هذا اليوم فى الآخرة؟

حسبك أن تستمع إلى هذا الحديث الذى رواه الحاكم وابن خزيمة والبيهقى عن أبى موسى الأشعرى قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله يبعث الأيام يوم القيامة. على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة وأهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها تضىء له يمشون فى ضوئها ألوانهم كالثبخ بياضًا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون فى جبال الكافور ينظر إليهم الثقلان لا يطرقون تعجبًا حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤمنون المحتسبون".

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الفقهاء :

ما أجمل أن نلتقى حول أقوال الفقهاء... ونخص بالحديث اليوم.. ما قيل حول يوم الجمعة وفضله وما أعده الله لعباده من جزيل الثواب .. وما وجب علينا فيه من الصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق محمد صلى الله عليه وسلم.

فذلك اليوم كما جاء فى الأثر فيه خمس خلال : "خلق الله عز وجل فيه آدم عليه السلام وأهبط الله تعالى فيه آدم إلى الأرض وفيه توفى الله تعالى آدم وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أعطاه الله تعالى إياه ما لم يسأل حرامًا وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة". (رواه أحمد وابن ماجه قال العراقى إسناده حسن)

وينبغى الاجتهاد فى الدعاء عند آخر ساعة من يوم الجمعة فعن عبدالله ابن سلام رضى الله عنه . قال: قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس "إنا لنجد فى كتاب الله تعالى فى يوم الجمعة ساعة لايوافقها عبد مؤمن يصلى يسأل الله عز وجل فيها شيئا إلا قضى له حاجته".

قال عبدالله : فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعض ساعة فقلت صدقت أو بعض ساعة قلت أى ساعة هى؟ قال آخر ساعة من ساعات النهار".

قلت إنها ليست ساعة صلاة. قال بلى إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه إلا الصلاة فهو فى صلاة". (رواه ابن ماجه)

وعن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إن فى الجمعة ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيرا إلا أعطاه إياه وهى بعد العصر". (رواه احمد)

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة منها ساعة لايوجد عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئا إلا أتاه إياه والتمسوها آخر ساعة بعد العصر". (رواه النسائى وأبو داود والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم وحسن الحافظ إسناده فى الفتح)

أبى سلمة بن عبدالرحمن رضى الله عنه : أن ناسًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فتذكروا الساعة التى فى يوم الجمعة فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة.

(رواه سعيد فى سننه وصححه الحافظ فى الفتح)

قال أحمد بن حنبل: أكثر الأحاديث فى الساعة التى يرجى فيها إجابة الدعاء أنها بعد صلاة العصر ويرجى بعد زوال الشمس، وأما حديث مسلم وأبو داود عن أبى موسى رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى ساعة الجمعة.

"هى ما بين أن يجلس الإمام (يعنى على المنبر) إلى أن تقضى الصلاة".

ويستحب كثرة الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة ويومها.

فعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علىّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىّ قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ فقال: "إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

(رواه الخمسة إلا الترمذى)

قال ابن القيم ويستحب كثرة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى يوم الجمعة وليلته لقوله "أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة وليلة الجمعة" ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنام ويوم الجمعة سيد الأيام فللصلاة عليه فى هذا اليوم مزيد ليس لغيره وحكمة أخرى وهى أن كل خير نالته أمته فى الدنيا والآخرة فإنها نالته على يده جمع الله لأمته بين خيرى الدنيا والآخرة فأعظم كرامة حصلت لهم فإنما تحصل يوم الجمعة فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم فى الجنة وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة وهو عيد لهم فى الدنيا ويوم يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولايرد سائلهم وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم أن يكثروا من الصلاة عليه فى هذا اليوم وليلته وتستحب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلته فعن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين". (رواه النسائى والبيقهى والحاكم))

وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضىء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين"

رواه إبن مردويه بسند لا بأس به ويكره رفع الصوت بها فى المساجد فقد أصدر الشيخ محمد عبده فتوى جاء فيها وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة جاء فى عبارة الأشباه عند تعداد المكروهات ما نصه ويكره أفراده بالصوم وأفراد ليلته بالقيام وقراءة الكهف فيه حضرًا وهى لا تقرأ إلا بالتلحين وأهل المسجد يلغون ويتحدثون ولا ينصتون ثم إن القارىء كثيرًا ما يشوش على المصلين فقراءتها على هذا الوجه محظورة.

ويستحب لكل من أراد حضور صلاة الجمعة أو مجمع من مجامع الناس سواء كان رجلا أو امرأة أو كان كبيرًا أو صغيرًا مقيمًا أو مسافرًا أن يكون على أحسن حال من النظافة والزينة فيغتسل ويلبس أحسن الثياب ويتطيب بالطيب ويتنظف بالسواك وقد جاء فى ذلك على أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "على كل مسلم الغسل يوم الجمعة ويلبس من صالح ثيابه إن كان له طيب مس منه" (رواه أحمد والشيخان)

وعن ابن سلام رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر يوم الجمعة "ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته". (رواه داود وابن ماجه)

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم "لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر بما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يروح إلى المسجد ولا يفرق بين اثنين ثم يصلى، ما كتب له ثم ينصت للإمام إذا تكلم إلا غفر له من الجمعة إلى الجمعة الأخرى" (رواه أحمد والبخارى) وكان أبو هريرة يقول "وثلاثة أيام زيادة".

كما يندب التبكير إلى الجمعة لغير الإمام قال علقمة خرجت مع عبدالله ابن مسعود إلى الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة من الله ببعيد . إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس يجلسون يوم القيامة من ربهم على قدر رواحهم إلى الجمعات الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع وما رابع أربعة من الله ببعيد. رواه ابن ماجه والمنذرى)

مع الفقهاء فى أحكامهم.

مازال الحديث بيننا يتردد فى أفضال يوم الجمعة وأنه ليوم ميمون الروحات مبارك الغزوات يقيض نورًا وبهاءً ويعم المسلمين جلالاً وجمالاً وكمالاً وإننا نذكر هذه الأفضال لذلك اليوم المشهود فإنما نريد أن ينال هذا اليوم منزلته اللائقة به عسى الله أن ينفعنا بما فيه من خيرات طيبات وأعمال مقبولة.

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنه ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن

راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر" (رواه الجماعة)

وذهب الشافعى وجماعة العلماء إلى أن هذه الساعات هى ساعات النهار فندبوا إلى الرواح من أول النهار وذهب مالك إلى أنها أجزاء ساعة واحدة قبل الزوال وبعده وقال قوم هى أجزاء ساعة قبل الزوال. وقال ابن رشد وهو الأظهر لوجوب السعى بعد الزوال.

ومن أحكام صلاة الجمعة النهى عن تخطى الرقاب حكى الترمذى عن أهل العلم أنهم كرهوا تخطى الرقاب يوم الجمعة وشددوا فى ذلك.

فعن عبدالله بن يسر رضى الله عنه قال "جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "اجلس فقد آذيت وآنيت".

(رواه أبو داود والنسائى وأحمد وصححه ابن خزيمة وغيره)

ويستثنى من ذلك الإمام أو من كان بين يديه فرجة لايصل إليها إلا بالتخطى ومن يريد الرجوع إلى موضعه الذى قام منه لضرورة بشرط أن يتجنب أذى الناس.. فعن عقبة بن الحارث رضى الله عنه قال "صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة العصر ثم قام مسرعا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه ففزع الناس من سرعته فقال "ذكرت شيئًا من تبر كان عندنا فكرهت أن يحبس فأمرت بقسمته". (رواه البخارى والنسائى)

ويسن التنفل يوم الجمعة مالم يخرج الإمام فيكف عنه بعد خروجه.

فعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلى بعدها ركعتين ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك. رواه أبو داود)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ثم يصلى معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام". (رواه مسلم)

قال الفقهاء ويندب لمن غلبه النعاس بالمسجد أن يتحول عن مكانه إلى مكان آخر لأن الحركة قد تذهب بالنعاس وتكون باعثا على اليقظة ويستوى فى ذلك يوم الجمعة وغيره.

فعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "إذا نعس أحدكم وهو فى المسجد فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره". (رواه أحمد وأبو داود والبيهقى والترمذى وقال حديث حسن صحيح)

قال الفقهاء : وصلاة الجمعة واجبة وهى فرض عين وأنها ركعتان لقوله الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة:٩).

ولما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة

بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله فالناس لنا فيه تبع اليهود غدًا والنصارى بعد غد".

عن ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة "لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون على الجمعات ببوتهم". (رواه أحمد ومسلم)

وعن أبى هريرة وابن عمر أنهما سمعا النبى صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره "ينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين". (رواه مسلم وأحمد والنسائى)

وعن أبى الجعد الضمرى وله صحبته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه".

قال الفقهاء وتجب صلاة الجمعة على كل مسلم حر عاقل بالغ مقيم قادر على السعى إليها.

ومن الذين لا تجب عليهم الجمعة المرأة والصبى والمريض الذى يشق عليه الذهاب إلى الجمعة ولكن إذا صلوها كان لهم بذلك ثواب وأجر فهى صحيحة منهم لكنها غير واجبة عليهم.

قال الفقهاء : إن الجماعة شرط من شروط صحة الجمعة ولا خلاف فى ذلك لحديث طارق بن شهاب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة".

وقد اختلف العلماء فى العدد الذى تنعقد به الجمعة إلى خمسة عشر مذهبًا ذكرها الحافظ فى الفتح والرأى الراجح أنها تصح باثنين فأكثر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الإثنان فما فوقهما جماعة"..

قال الفقهاء ويصح أداؤها فى المصر والقرية والمسجد وأبنية البلد والقضاء التابع لها كما يصح أداؤها فى أكثر من موضع.

فقد كتب عمر إلى أهل البحرين أن جمعوا حيثما كنتم قال الفقهاء وذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب خطبة الجمعة واستدلوا على الوجوب بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم بالأحاديث الصحيحة ثبوتًا مستمرًا أنه كان يخطب فى كل جمعة واستدلوا أيضا بقوله صلى الله عليه وسلم : "صلوا كما رأيتمونى أصلى".

وقول الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) (الجمعة:٩) وهذا أمر بالسعى إلى الذكر فيكون واجبا لأنه لا يجب السعى لغير الواجب وفسروا الذكر بالخطبة لاشتمالها عليه.

أول جمعة صلاها الرسول متى .. وأين

هذان سؤالان نطرحهما بصدد الحديث عن أول جمعة صلاها رسول الله صلى‌الله عليه وسلم بالمسلمين... نسأل عن زمانها متى وقعت؟ وعن مكانها أين كانت؟

وللصلاة عامة مكانتها عند الله "أنى لأهم بأهل الأرض عذابًا فإذا نظرت إلى عمار المساجد والمستغفرين بالأسحار صرفت العذاب عنهم)) حديث قدسى جليل "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان" حديث نبوى شريف تلا بعده الرسول المعصوم قوله تعالى (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) (التوبة:١٨) فمقياس صلاح الأمة يتوقف أولاً على صلتها بالله فى المساجد فإذا هجرت المساجد وقل فيها الراكع والساجد جاءها ذلك الإنذار الحاسم والبيان الجازم من قبل الحق جل جلاله "وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة:١١٤) نعم ويأتيها ذلك الوعيد من قبل المبدىء المعيد (فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) (طه ١٢٣-١٢٦) وهكذا حال الأمة إذا ضلت الطريق إلى الله تعثرت أحوالها وذلت أقدامها وانتكست موازينها وانفلتت معاييرها أما عن ومتى وأين فلكى نجيب عنهما فلا بد أن نمسك بالخيط الأول من نسيج هذه القصة

الجليلة، كانت أول جمعة بعد الهجرة فإلى المدينة المنورة ليشع علينا نور الإسلام وضاء الجبين فى باذخ العلياء يناطح الجوزاء ويزاحم الشمس فى الجلاء...

وصل النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة يوم الإثنين وأقام بقباء بقية وصوله وهو يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج يوم الجمعة قاصدًا البلد الطيب (طيبة) المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى المسجد الذى ببطن الوادى : وادى رانوناء بين قباء والمدينة ويعرف هذا المسجد اليوم بمسجد الجمعة وهى أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بل قيل فى مكة من الاجتماع بأصحابه حتى يقيموا بها جمعة ذات خطبة وإعلان وموعظة لشدة مخالفة المشركين لهم وإيذائهم إياه وأصحابه وفى هذه الجمعة خطب المسلمين خطبة بليغة مؤثرة تفيض بالإيمان واليقين والمواعظ والزواجر والترغيب والترهيب وقد صدق أمير الشعراء إذ يقول فى أمير الأنبياء :

وإذا خطبت فللمنابر هزة ... تعرو الندى وللقلوب بكاء
وإذا غضبت فإنما هى غضبة ... للحق لا ضغن ولا شحناء
لو أن إنسانا تخير ملة ... ما أختار إلا دينك الفقراء
المصلحون أصابع جمعت يدًا ... هى أنت .. بل أنت اليد البيضاء

* * *

وها هى ذى خطبة المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادى من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلاله من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله احذروا ما حذركم الله نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرى وأنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذى بينه وبين الله من أمر السر والعلانية ولا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرًا فى عاجل أمره وذخرًا فيما بعد الموت حين يفتقر إلى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدًا بعيدًا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد.

والذى صدق قوله وأنجز وعده لاخلف لذلك فإنه يقول تعالى (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (قّ:٢٩) واتقوا الله فى عاجل أمركم وآجله فى السر والعلانية فإنه (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِه وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً) (الطلاق: ٥) (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)(الأحزاب: ٧١) وأن تقوى الله تقوى مقته وتقوى عقوبته وتقوى سخطه وأن تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله وقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة ولا قوة إلا بالله فاذكروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من

أصلح بينه وبين الله يكفيه ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

يا رسول الله نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين فجزاك الله عنا خيرًا ما جزى نبيًا عن أمته ورسولا عن قومه.

قال الفقهاء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما والخطبة الواجبة يجب أن تجمع حمد الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم والشهادتين والبشارة والنذارة.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا تحدث فى مقام الوعيد احمرت عيناه وارتفع صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش وكان يقرأ القرآن فى كل خطبة وكان يكثر من قراءة القرآن المجيد فى خطبه ومن هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا صعد المنبر أقبل بوجه على الناس ثم قال السلام عليكم قال الشعبى كان أبو بكر وعمر يفعلان ذلك قالت أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضى الله عنهما ما أخذت ق والقرآن المجيد إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس. (رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داوود) وعن يعلى بن أمية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك" (متفق عليه).

عن ابن مالك عن أبى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الجمعة (تبارك) وهو قائم يذكر بأيام الله.

الدين النصيحة

هذا صدر حديث شريف جاء الأسلوب فيه بصيغة القصر والحصر لتعريف الطرفين المسند إليه والمسند وهذا ضرب من إعجاز النبوة فى أعلى طبقات البلاغة كأنه قيل ما لدين إلا النصيحة وكان النصيحة هى الدين لذلك لم يكن الإسلام مبالغا عندما جعل خطبة الجمعة واجبة ذلك لأن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الله وتلاوة القرآن وقد تأخذك الدهشة ويستولى عليك العجب عندما ينادى القرآن على المؤمنين فيقول :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ) (الجمعة:٩) ثم يقول : (فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) ولا يقول إذا نودى للصلاة فاسعوا للصلاة لأن هذا أمر مفروغ منه لايحتاج إلى حث وتحضيض إنما الذى يغفل عنه الناس هو السعى للاستماع إلى خطبة الجمعة والتى سماها القرآن ذكرًا وعلام الغيوب قد علم أزلا أن هناك قومًا يتكاسلون عن الذهاب ليستمعوا إلى الخطبة إنما يذهبون عندما تقام الصلاة وهذا مؤشر خطير فى حياة الأمة إن من الناس ناسًا جعلوا من صلاة الجمعة عادة لا عبادة فهم يذهبون عندما تقام الصلاة حتى لا يقال أنهم لا يصلون الجمعة وأن من الناس ناسا لا يصلون غير صلاة الجمعة ومن الناس من لا يصلون إلا فى رمضان ومنهم من لا يصلى إلا الجمعة الأخيرة من رمضان والتى يطلقون عليها من عند أنفسهم الجمعة اليتيمة ومنهم من لا يدخل المسجد طول حياته إنما يدخله رغم أنفه وهو ميت ليصلىّ عليه صلاة الجنازة.

ومن ثم كان النبى صلى الله عليه وسلم يهتم اهتماما بعيد المدى بخطبة الجمعة لأنه يدعو الشاردين إلى حياض التوبة وينبه الغافلين إلى ذكر رب العالمين وكان فى خطبه كما يقول العلامة ابن القيم "وكذلك كانت خطبه صلى الله عليه وسلم إنما هى تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وذكر الجنة والنار وما أعدّ الله لأوليائه وأهل طاعته وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملأ القلوب من خطبته إيمانًا وتوحيدًا ومعرفة بالله وأيامه لا كخطب غيره التى إنما تفيد أمورًا مشتركة بين الخلائق وهى النوح على الحياة والتخويف بالموت فإن هذا أمر لا يحصل فى القلوب إيمانًا بالله ولا توحيدًا له ولا معرفة خاصة ولا تذكيرًا بأيامه ولا بعثًا للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب أجسامهم فيا ليت شعرى أى إيمانا حصل بهذا وأى توحيد وعلم نافع يحصل به؟

ومن تأمل خطب النبى صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التى تحببه إلى خالقه وأيامه التى تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذى يحببهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ثم طال العهد وخفى نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقوم من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سببا لا ينبغى الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التى لا

ينبغى الإخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع وعلم البديع فنقص بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها.

اعلم أنه يستحب رفع الصوت بالخطبة وتقصيرها والاهتمام بها.

فعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنه من فقه (أى علامة وأمارة عن فقهه وفهمه لأحكام الشرع) فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة". (رواه أحمد ومسلم)

وإنما كان قصر الخطبة وطول الصلاة دليلاً على فقه الرجل لأن الفقيه يعرف جوامع الكلم فيكتفى بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى.

ومن أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدثنا عن نفسه فقال "أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش" وهذا أسلوب بليغ فيه تأكيد المرح فهو أفصح العرب وهو قرشى فاجتمعت الحسنيان له.

وأنا لو أوتيت سحر البيان التى تخر له العمالقة وأعطيت ريشة من الجنة، ومنحت قدرة التصوير فى التعبير ما استطعت أن أقف أمام أسرار البلاغة التى تحصن بها مبعوث العناية الإلهية وقد صدق أمير الشعراء إذ يقول فى أمير الأنبياء :

فما عرف البلاغة ذو بيان ... إذ لم يتخذك له كتابًا
أبا الزهراء قد جاوزت قدرى ... بمدحك بيد أن لى انتسابا
مدحت المالكين فزدت قدرا ... وحين مدحتك ارتدت السحابا

عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال "كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه قصرًا وخطبته قصرًا". (رواه الجماعة)

وعن عبدالله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيل الصلاة ويقصر الخطبة". (رواه النسائى بإسناد صحيح)

قال الإمام النووى يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبنية من غير تمطيط ولا تقصير ، ولا تكون ألفاظا مبتذلة ملفقة فإنها لا تقع فى النفوس موقعًا كاملاً، ولا تكون وحشية لأنه لا يحصل مقصودها بل يختار ألفاظا جزلة مفهمة.

لمن النصيحة

لما قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الدين النصيحة قال أصحابه الأخيار لمن يارسول الله؟ وفى أسلوب وضاء العبارة مشرق الكلمات، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه قال مبعوث العناية الإلهية النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين.

وهنا لابد أن نقدح زناد الفكر فى هذا الحديث الشريف كيف تكون النصيحة لله ولكتابه ولرسوله؟ إن النصيحة هنا معناها الإخلاص والإخلاص كلمة جامعة فهو لله إخلاص العمل والقول والاعتقاد وهو لكتاب الله العمل بما فيه وبما دعا إليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (الأنفال: ٢٤).

والإخلاص لرسول الله التمسك بهديه والعمل بسنته قولاً وفعلاً وتقريرًا.

قال تعالى (لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) (التوبة: ٩١) أى إذا أخلصوا القصد والنية والعمل.

أما النصيحة لأئمة المسلمين فتكون بالتوجيه والإرشاد وبيان طريق الله المستقيم.

وقد بلغ المسلون فى هذا الشأن مع أئمتهم مبلغا عظيما حتى كان عمر الفاروق يصيح بأعلى صوته قائلا رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى.

فانظر كيف صار بيان العيوب هدية غالية استحق صاحبها الدعوة بالرحمة وقد كان الأصحاب الأخيار كما قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم "إثنان إذا صلحا صلحت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة العلماء والأمراء".

فعلى العلماء أن يتجردوا لله كما قال الحق جل جلاله (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ) (الأحزاب: ٣٩).

وعلى الأمراء إذا رأوا الحق أن يتبعوه وإذا تبين لهم الضلال أن يجتنبوه إذا كان ذلك كذلك فإن من اتبع هذه القاعدة لا يتخلف أبدًا وسيكون الإصلاح رائد الأمة والنصر حليفها وسيلبسها الله لباس العز والشرف فإذا اختل هذا الميزان وانتكس فسوف يكون الذل رائدها والخذلان حليفها ويلبسها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.

أما النصح لعامة المسلمين فيكون بإرشادهم وعدم غشهم ولقد تعجب كل العجب عندما تعلم أن صحابيًا جليلاً اسمه جرير البجلى يرسل غلامًا له ليشترى له فرسًا وبعد أن اشتراه واتفق مع البائع على الثمن ورضى البائع قال له الغلام تعالى إلى سيدى لينقدك الثمن ونظر جرير إلى الفرس فعلم أن الثمن الذى اتفق عليه غلامه ثمن بخس فزاد للبائع فى الثمن.

فقال البائع عاجبًا أتزيد ثمن المبيع وأنت المشترى؟ فقال جرير بلسان اليقين ومنطق الحق المبين يا أخى إن فرسك لا يقل ثمنه عما بينته أنا فإذا أخذته بأقل من ذلك فقد غششتك وقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم ونصحى لك أن اشترى المبيع بما يستحق من ثمن دون أن أبخسك حقك.

نعم يا رسول الله ألست أنت الذى قلت لأنس بن مالك يا أنس: "إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل فإن ذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة".

أكان هؤلاء بشرًا يسكنون كوكبا هذا ويقيمون على أرضنا تلك... أم كانوا سكان كوكب آخر؟

كانوا بشرًا ولكن لا ككل البشر كانوا ملائكة البشر يسكنون كوكبنا هذا ولكنهم كالبحر يرسل أمواجه ليغسل وجه هذه الأرض من أرجاسها وأدناسها وأنجاسها.

هذا هو الدين وتلك هى النصيحة نقدمها بمناسبة الحديث عن خطبة الجمعة فليست الخطبة كلمات صماء جوفاء يشخشخ فيها الهواء إنما كانت خطب مبعوث العناية الإلهية نصحًا وتوجيهًا وإرشادًا وتربية وسلوكًا وبيانًا للحق وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ودواءً لكل داء استعصى علاجه وغذاء وشفاءً وبيانًا جامعًا مانعًا شافيًا كافيًا وافيًا.

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ذات يوم فقال بعدما حمد الله تعالى وأثنى عليه "أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب وكأن الذى نشيعه من الموتى سفر عما قليل إلينا راجعون نبوتهم أحداثهم ونأكل من تراثهم كأننا مخلدون بعدهم نسينا كل واعظة وأمنا كل جائعة طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن أمسك الفضل من قوله وأنفق الفضل من ماله".

طوبى لمن عاشر أهل العلم والحكمة وخالط أهل الذل والمسكنة.

طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة.

هذه خطبة ألقاها سيد الخلق وحبيب الحق أتظن أنه بقى شيء لم يذكره الرسول فى هذه الكلمات. إنه أوفى على الغاية حتى بلغ النهاية، وهذا نموذج آخر من أقواله العظيمة التى يربى بها النفوس وتلك جوامع كلمه التى سرت فى القلوب كما تسرى الكهرباء فى أسلاك البلاتين فتصير الكلام ضوءً مسموعًا.

قال صلى الله عليه وسلم "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن يطأ به عمله لم يسرع به نسبه".(رواه مسلم فى صحيحه)

وقال صلى الله عليه وسلم "الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء" قال الترمذى حديث صحيح.

وجاء فى الحديث الآخر الصحيح الذى فى السنن يقول الله تعالى :

"أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته".

وقال "ومن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله"، هذه كلمات جامعة ربى الرسول صلى الله عليه وسلم عليها أصحابه فكانوا كما تحدثت عنهم الدنيا كانوا رجالا والرجال عملة صعبة كانوا أبطالا والبطولة فى هذه الدنيا نادرة كانوا أخوة الأخوة كلمة غالية كانوا يحملون قلوبا مفعمة بالرحمة كما وصفهم الحق جل جلاله فى قوله.

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) (الفتح:٢٩).

الكلمة مسئولية والمسئولية أمانة وحفظ الأمانة واجب ولذا فإن من الخطأ أن يقول الإنسان ما لا يعلم وأن يعلم قبل أن يتعلم ولا يخاف أن يأثم وإذا أثم لا يندم.

هذا خطأ خطير من أجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الرجل ليتكلم الكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفا". ومن ثم فقد عنى الإسلام غاية كبيرة بالكلمة واهتم اهتماما بعيدا بما يلقى على أسماع المسلمين من خطب ومواعظ أيام الجمع والأعياد وعرفات كما عنى بمداومة الإرشاد والتوجيه لأن النفس البشرية كزجاجة الدواء إن لم ترج قبل استعمالها ترسبت العقاقير فيها كذلك النفس كالزجاجة إن لم يملأها شيء ملأها الهواء وقديما قال الحكماء : نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ومن هنا كان للكلمة التى تعالج النفس وتربيها أثرها الطيب. وكان للمعلم الذى يعلم الناس الخير مكانه يرتفع فوق قبة الفلك.

قـــم للمعلـــم وفـــه التبجـــيلا ... كـــاد المعلـــم أن يكون رسولاً
أرأيـــت أنفـــع أو أجـــل من الذى ... يبـــنى وينشـــئ أنفســـا وعقولا

سبحانك اللهم خير معلم علمت

وقال صلوات الله وسلامه عليه "إن الله وملائكته وأهل السماء والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى جوف البحر ليصلون على معلم الناس الخير".

وها نحن أولاء نسجل هنا خطبة عصماء لصاحب الرسالة الغراء ألقاها فى اليوم المشهود يوم عرفة فى حجة الوادع نقصد بها إظهار بلاغة القول وبيان أن الخطب ليست عبارات طنانة أو ألفاظًا رنانة أو فلسفات معقدة أو سبحات فى خيال شاسع إنما الخطب فى الإسلام تثبت لأصول العقائد وشعائر العبادات ومبادىء الأحكام وقواعد النظام ومناهج السلوك.

فما أشد حاجة الأمم إلى مخاطبة العقل الرشيد بالمنطق السديد فلنذهب الآن إلى عرفات الله ولننصت خاشعين إلى سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطن الوادى يوم عرفة وخطب الناس فقال :

"إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا. دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعًا فى بنى سعد قتلته هزيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا عباس ابن عبد المطلب فإنه موضوع كله فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم أشهد ثلاث مرات.

ارجع البصر فى هذا الكلم الطيب هل ترى من قصور ثم ارجع البصر كرتين تجد أن هذه الخطبة العصماء وكذلك كل خطب الرسول صلى الله عليه وسلم ركزت على العناصر الأصلية وعنصرت المراكز الأساسية بما تيسر من التقدير وتقدر من التيسير لم تكن خطبة قصة تروى أو رواية تقص إنما كان يقول فضلاً ويحكم عدلاً ينفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه.

ألم تر كيف حدد مسئولية الدماء والأموال والأعراض وهى أخطر باب فى دساتير الحياة أرأيت كيف حدد المسئولية فى تلك القضايا. أليس هذا القائل "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" كان عمر الفاروق رضى الله عنه يقول "لو عثرت بغلة فى العراق لسألنى الله عنها لِمَ لمْ تصلح لها الطريق يا عمر؟"

حج الرشيد عامًا فلقيه عبدالله العمرى فى الطواف فقال ياهارون قال لبيك يا عم قال : كم ترى هنا من الخلق قال : لا يحصيهم إلا الله ... قال اعلم أيها الرجل إن كل واحد تسأل منهم يسأل عن خاصة نفسه، وأنت واحد تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون . فبكى هارون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا للدموع ثم قال له : إن الرجل ليسرف فى مال نفسه فيستحق الحجر عليه... فكيف من أسرف فى مال المسلمين.

إن الأمة الإسلامية وإن كانت اليوم تبدو مفككة ضعيفة. فإنها تحمل عناصر الابتعاث وهى فى ابتعاثها لا تحتاج إلى وقت طويل.

أرأيت كيف نصح العالم ولم تأخذه فى الله لومة لائم، وكيف استجاب الخليفة ولم تأخذه العزة بالإثم وأى خليفة أنه هارون الرشيد الذى افترى

عليه المفترون وكذب عليه الخراصون فزعموا أنه رجل القصور والجوارى وهو الذى كان يحج عامًا ويغزو فى سبيل الله عاما كان يحكم أمة تمتد من حدود الصين شرقا إلى أبواب باريس غربا ومن حدود سيبيريا شمالا إلى المحيط الهندى جنوبا. أمة لا تغيب عنها الشمس كان يخطب ذات يوم فمرت به سحابة فقال لها أيتها السحابة إن شئت فامطرى هنا أو امطرى حيث شئت فسوف يصلنى خراجك. ومع هذا الملك والسلطان دخل عليه الطبيب فى مرض الموت فقال له يا أمير المؤمنين أحمد الله واسترجع فلم يخف من صولة الموت ولم يحزن على ملك سيولى إنما قال :

إن الطبيب له علم يستدل به ... إن كان للمرء فى الأيام تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رحلته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

وأمر أن يهيأ قبره هيأه قال لهم احملونى لألقى نظرة على هذا المكان الذى سأسجى فيه وينادى على الملك القدوس بعدما أصبح وحيدا ويقول لى عبدى رجعوا وتركوك وفى التراب دفنوك ولو ظلوا معك ما نفعوك ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحى الذى لا أموت.

لما نظر إلى قبره توجه إلى الله وقال يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

فاللهم أغننا بالعلم وزينا بالحلم وأكرمنا بالتقوى وألبسنا تاج العافية.

إلى مبعوث العناية الإلهية

سيدى أبا القاسم يارسول الله :

أنـت الـذى لمـا رفعت إلى السما بـك قـد سمت وتزينت لسراكا
أنـت الـذى نـاداك ربـك مرحبا ولقـد دعـاك لقـربه وحـباكا

الإسراء والمعراج معجزتان ظهرتا على يد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد الأنبياء تصديقًا لهم فى دعواهم مع عجز جميع الخلق عن الإتيان بمثل ذلك وقد تكون المعجزة قولية كالقرآن الكريم (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (الإسراء:٨٨).

وقال جل شأنه (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) (البقرة:٢٣-٢٤).

وقد تكون المعجزة أمرًا فعليًا كالإسراء والمعراج قال الله تعالى فى شأن الإسراء.

(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الإسراء:١).

ومعلوم أن لكل أعجوبة سبحان الله فما فتح الله هذه الآية بصيغة التسبيح إلا لأن الأمر عجيب ومن ثم فقد ورد التسبيح فى القرآن بصيغ

مختلفة وأساليب متنوعة جاء بصيغة الماضى فى مثل قوله جل جلاله (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الحشر:١).

وبصيغة الحال والمستقبل قال جل شأنه (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (الجمعة:١)، وبصيغة الأمر قال تعالى (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) (الأعلى:١) وبصيغة الوصف قال تعالى (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (الصافات:١٤٣-١٤٤).

وبصيغة المصدر كما فى هذه الآية التى بين أيدينا ولولا أن الإسراء والمعراج بالروح والجسد ما كان هناك التعجب إلى صيغة تفيد داع والانبهار من قدرة الله تعالى وإنما عبر بالإسم الموصول فقال (الذى أسرى) لأنه محط العبرة والقدرة فإن مما هو معلوم الثبوت أنه لا يقوى على خرق العادات والإتيان بالمعجزات إلا خالق الأرض والسماوات ومن ثم كان فى الإشارة ما يغنى عن العبارة وفى التلميح ما يغنى عن التصريح قوله تعالى (أسرى بعبده ليلا).

معلوم أن الإسراء هو السير ليلاً فلماذا قيد الإسراء بالليل مع أنه لا يكون إلا ليلاً ذلك لأن الإسراء هنا ليس مطلق السير إنما السير فى جزء لا يتجاوز لمح البصر من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس ومن هنا فالمقصود بالليل جزء منه يسير مع بعد المسافة بينهما والتعبير بالعبودية (أسرى بعبده) ولم يقل برسوله أو نبيه أو حبيبه يفيد أن

الرسول مهما بلغ من الدرجات العلا... ومهما ارتفع بالآيات (فإنه لا يتجاوز مقام العبودية إلى غيرها).

ومن هنا كان أحب الأسماء لديه عبد الله قال تعالى (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً) (الجـن:١٩).

وكما عبر عنه فى العبودية فى الإسراء وصف بها فى المعراج قال تعالى (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) (النجم:١٠) ومما هو جدير بالذكر أن الله تعالى إذا وصف نبيا من أنبيائه بالعبودية عين اسم النبى قال تعالى (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) (القمر:٩) وقال جل شأنه (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوب) (صّ: ٤٥) وقوله سبحانه (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ) (صّ: ٤١) وقال سبحانه (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ) (صّ: ١٧) وقال (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْد) (صّ: ٣٠) وقال فى شأن المسيح (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) (الزخرف:٥٧-٥٩) أما إذا أراد القرآن أن يصف الرسول محمدا بالعبودية لا يذكر اسمه لأنه علم من الأعلام التى بلغ من وضوحها أنها صارت كالشمس وضحاها والقمر إذا تلاها والنهار إذا جلاها.

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل فإذا قال القرآن (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) (البقرة: ٢٣) علم الجميع أنه محمد وإذا قال (سبحان الذى أسرى بعبده) أو (فأوحى إلى عبده) فليس

هناك أدنى ريب أنه المصطفى ومن ثم كان الشعار (كفانى عزا أن أكون لك عبدا وكفانى فخرا أن تكون لى ربا)).

وممـــا زادنـــى شـــرفا وقـــدرا وكـــدت بأخمصـــى أطأ الثريا
دخولـــى تحـــت قولـــك ياعـــبادى وإن صـــيرت أحمـــد لـــى نبيا

كان للإسراء بداية ونهاية البداية من المسجد الحرام والنهاية إلى المسجد الأقصى والسؤال هنا كيف عبر القرآن عنهما بالمسجدين مع أن المسجد الحرام وقت الإسراء كان به ثلاثمائة وستون صنما... وكان المسجد الأقصى يعبث الرومان فيه فسادا وطغيانا.

والحقيقة التى شهد لها التاريخ .. وصمدت أمامها الأحداث تؤيدها وتؤازرها أن هذه السورة الكريمة سورة الإسراء تسوق لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث بشريات الأولى أن هذا المسجد الحرام سيطهر من الأصنام ويصير مسجدا محل سجود للواحد الديان وأن المسجد الأقصى سيضع المسلمون أيديهم عليه بالتوحيد والإصلاح وسترتفع رايات الإسلام خفاقة عالية فى باذخ الذرى تناطح الجوزاء وتزاحم الشمس فى الجلاء وهذه ثابتة البشريات.

أما ثالثتها فإن أمه محمد ستحمل كتابا يفتح الدنيا مشرقًا ومغربًا (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً) (الإسراء:٩).

وتنذر أعداء الحق إنذارا شديد اللهجة كأنه طابور متماسك من الرصاص المقذوف قال الحق سبحانه (وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً) (الإسراء: ٨).

أى يا أعداء الله إن عدتم لحرب الإسلام والتصدى له عدنا لحربكم وتدميركم ومن يقوى على حرب الله الذى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

نعم إن هذه السورة الكريمة تضىء للمسلمين نور الأمل الذى يبدد اليأس ويطويه كما يطوى البرق معصرات الغمام وأن الله لا يعجل كعجلة أحدكم إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته والله خير الناصرين.

فلنتمسك بحبله المتين ونوره المبين وذكره الحكيم.

المعجزات

لا يقولن قائل عن معراج الرسول صلى الله عليه وسلم كيف اخترق الغلاف الجوى وكيف استطاع أن يجتاز طبقات ينعدم فيها الأكسجين وهو العنصر الفعال فى الحياة.

وكيف ارتقى إلى علو يعانى فيه الأحياء من خفة الضغط الجوى وكيف ثم كيف ثم كيف؟

لا أن نقول : كيف؟ أمام قدرة الله وبكلمة واحدة تطيش كل هذه الاستفهامات لأن الإسراء والمعراج معجزتان والمعجزات لا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى فأمام قدرة الله لا يصح لعاقل أن يضع علامة استفهام يريد بها التعجيز.

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً) (فاطر: ٤٤).

وليسأل الإنسان نفسه من خالق الغلاف الجوى؟ ومن خالق العناصر بما فيها الأكسجين؟ ومن الذى أبدع فى هذا الكون قوانينه ونواميسه؟ الطبيعة الصماء أم المصادفة العمياء كلا : لا هذا ولا ذاك بل الله العزيز الحكيم (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (لقمان:١٠-١١).

نعم... إن الذى خلق الأشياء قادر على أن يفعل بها ما يشاء وأن الذى خلقنا ونحن أجنة فى بطون أمهاتنا وفى أرحام ظلمات بعضها فوق بعض...

إذا أخرج المرء يده لم يكن يراها فما هو ذلك الرحم.. إنه كيس عضلى كمثرى الشكل يقع خلف المثانة وأمام المستقيم واسألوا علماء الأجنة ما طوله وما عرضه وما سمكه؟ طوله يبلغ سبعا ونصفا من السنتيمترات وعرضه خمسة من السنتيمترات وسمكه اثنان ونصف من السنتيمترات من الذى أمدك بالغذاء وأنت فى هذا القرار المكين؟ ومن الذى أمدك بالأكسجين ومن الذى جعلك تتحرك فى بحر من الدم وتنمو باطراد دون توقف؟ (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) (المرسلات:٢٠-٢٤).

اسألوا علماء الأجنة عن حقيقة الإنسان (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل:٧٨).

إبن آدم :

أنـت الـذى ولدتـك أمـك باكيا والناس حولك يضحكون سرورا
فـاعمد إلـى عمـل تكون إذ بكوا فى يوم موتك ضاحكا مسرورًا

إن المتأمل فى عالم الأجنة لا يسعه إلا أن يقول كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه والرسول يتلو عليه آيات من سورة المؤمنون وكان عمر كاتب الوحى ساعتها قال الرسول يملى قوله تعالى ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا

الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ) (المؤمنون:١٢-١٤).

وقبل أن يكمل الرسول صلى الله عليه وسلم الآية الموحى بها إليه قال عمر (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ). فقال له المصطفى صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت فاكتبها ياعمر.

نعم.. فتبارك الله أحسن الخالقين . من الذى خلق هذا الكائن العاقل المفكر! الطبيعة الصماء أم المصادفة العمياء؟ إن فاقد الشىء لا يعطيه (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (قَ:١٦) رضى الله عنك ياعمر ياذا القلب الملهم والفؤاد العبقرى والبصيرة النافذة. يا من خلع عليك الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأوسمة وتلك النياشين أوسمة الحق ونياشين الفخار قال عنك فيما ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال "قد كان فى الأمم قبلكم محدثون.. فإن يكن فى أمتى أحد فعمر منهم" وروى الترمذى وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال "لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر" وفى حديث آخر "إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه" وفيه "لو كان نبى بعدى لكان عمر" وقال ابن عمر "ما كان عمر يقول فى شىء إنى لأراه كذا"..

إلا كان كما يقول "وعن قيس بن طارق قال كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسان ملك وكان عمر يقول "اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون.. فإنه تتجلى لهم أمور صادقة وكان ابن عباس رضى الله عنه

يقول : "أكثروا من ذكر عمر فإنكم إذا ذكرتموه ذكرتم العدل.. وفى ذكر العدل ذكر لله تعالى" نعم ياعمر (فتبارك الله أحسن الخالقين).

بعد خلقك يابن آدم لا تضع أى علامة استفهام أمام قدرة الله فلله علم وإرادة وقدرة فالعلم صفة انكشاف انكشفت بها الكائنات أزلا وأبدا..فسبحانه علم ما كان وعلم ما يكون.. وعلم مالا يكون.. لو كان كيف كان يكون ولله إرادة ترجح بعض الممكنات على بعض (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل:٤٠) ولله قدرة تتعلق بتنجيز الأشياء من العدم إلى الوجود .. (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً) (الفرقان:٥٤).

أبعد هذا يجادل مجادل أو مكابر فى إسراء الرسول ومعراجه (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) (الذريات:٢١-٢٣).

فى رحاب التفسير

ظل الداعية الإسلامي الشيخ عبد الحميد كشك لأعوام عديدة يلتقى بأحبابه من المسلمين، من فوق منبره فى مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم، في خطب الجمعة، وفى دروسه وفتاويه التى كانت تشغل كل أيام الأسبوع، فتنشرح الصدور، وتصفو الأفئدة، وتتطهر النفوس وتتغذى العقول والأرواح... وتتنزل السكينة والرحمة..

واشتهر مجلس الشيخ، وذاع صيته حتى بلغ أفاق الأرض إلى عنان السماء.. وقصده المسلمون من القاهرة وما حولها من مدن وقرى.. وأتاه الزائرون من أنحاء العالم الإسلامي كله.. وفى يوم الجمعة يمتلئ المسجد على سعته وكثرة مبانيه فيضيق بمن فيه من المصلين فيؤمون ما يحيط المسجد من شوارع وطرقات.. وما أن ينتهى الشيخ من خطبته وما يليها من درس وموعظة حتى تتلقف الأيدى الأشرطة كى تسمعها النساء فى البيوت، ولكى تطير إلى قارات الدنيا الست تنقل للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ما قاله الشيخ فلا يحرمون من نفعه.

وفى سبتمبر ١٩٨١ حيل بين الشيخ ومنبره.. ومنه من أن يلقى الأحبة فى دروس أو فتاوى.. فكانت الضارة النافعة.. فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا.. وعجيبا لأمر المؤمن أن أمره كله له خير.. فعكف الشيخ على القرآن الكريم.. مأدبة الله.. الذى لا تنقضى عجائبه ولا تنفد أنواره التى تبدد الظلمات.. يحيى به لياليه يطالع آياته.. ويعاينها ويفسرها.. تفسيرا يضيف إلى كل ما سبقه الكثير، تفسيرا يتجه إلى القلوب فيفك مغاليقها ويفتح أقفالها، فى عبارات جزلة ومعان مضيئة تخاطب مسلم اليوم فتأخذه مما يكتنفه من ظلمات ركام الجاهلية إلى نور الله وشفاء لما فى الصدور.. فتتبدد الظلمة.. وتنقشع الغمة..

وعاش الشيخ أيامه فى هذه الأعوام الست فى رحاب التفسير معتكفا عليه فى بيته، رافضا كل عرض بسفر أو هجرة، مهما برق لمعانه أو اشتد إغراؤه، أو زاد إلحاحه.. فقد استشعر لذة القرآن وأظلته نعماؤه.. وأحس أن الأقدار قد هيأت له هذه الظروف للاضطلاع بهذه المهمة التى تحتاج لهذا التفرغ الكامل..

وعهد إلينا الشيخ بما انتهى منه.. وهو لا يزال يمضى فى طريقه يشق عباب البحر وشاطئ النهاية يلوح من بعيد.. يزداد منه اقترابا كل يوم.. طالبا منا أن نقدمه إلى المسلمين فى كل مكان كما قدمنا من

قبل مكتبته التى انتشرت فى كل مكان.. وسخر الله لنشرها حتى الكفار من الموارنة والملحدين يزورون طبعاتها ويصلون بها إلى ما لم نصل إليه من بقاع الأرض، قاصدين لعاعات الدنيا التى ما قصدناها.. فيكتب لشيخنا ولنا الأجر النافع بفضله وجوده ومنّه وكرمه.

نسأل الله العلى القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجه الكريم مبرأ من كل من عداه من أغراض، فيكون لشيخنا ولنا قائدا إلى الجنة وشفيعا يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر، ونورا لنا يوم ندخل قبورنا وأن ينفع به من قرأه من المسلمين. آمين يا رب العالمين.

الفهرس

مقدمة ٥

لا تيأسوا من روح الله ٧

كتاب وزمان.. ومكان ١٧

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٣

أول جمعة صلاها الرسول متى..وأين ٣٢

الدين النصيحة ٣٦

لمن النصيحة ٤٠

مع صاحب الرسالة العصماء ٤٥

الى مبعوث العناية الإلهية ٤٩

المعجزات ٥٤

رقم الإيداع
١٩٨٣ / ٥١٧٦
الترقيم الدولى I. S. B. N.
977-136-015-9